مجلة دراسات موصلية

مجلة فصلية علمية محكمة، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN. 1815-8854

تاريخ استلام البحث: ٧/٦/ ٢٠٢٥ تاريخ قبول النشر: ١٩/٨/٢٠٢٥

الخطاب النقدي في قراءات بتول البستاني مقاربة في نقد النقد

The Critical Discourse in Batoul Al-Bustani's Readings: An Approach to Criticism of Criticism

م. د. عماد بشير الچيرو

Lecturer Dr. Imad Basheer Al-Jiro

جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

University of Mosul / College of Education for Humanities / Department of Arabic Language

emad.basheer@uomosul.edu.iq

orcid:https://orcid.org/0000-0003-3783-2428

ISSN. 1815-8854

ملخص البحث:

جاءت دراسة الدكتورة بتول البستاني: (قراءة لدراسات الدكتور مصطفى ناصف في شعر ما قبل الإسلام)، مقاربة جادة في نقد النقد. فالخطاب النقدي الناصفي يَسَعُ أكثر من رأي ويحتمل أكثر من نقد، وكانت دراسة الدكتورة البستاني محاولة لتأويل بعض مظاهره ورصد أهم قضاياه، وقد ارتأينا دراسة النماذج العليا في الشعر العربي القديم أنموذجاً لقراءة البستاني في كتاب (قراءة ثانية لشعرنا القديم).

وقد كشفت البستاني عن آلية تعامل مصطفى ناصف مع القصيدة العربية في عصر ما قبل الإسلام، على أنّها رموز لها دلالات معينة، إذ كشف عن دلالات الطلل والفرس والناقة والمطر.. وغيرها من الظواهر الشائعة في الشعر الجاهلي معتمداً على نظرية يونج car jung في اللاشعور الجمعي، فأسس للرمز، ورأى أنّه صورة مستقلة في وجودها تتحرك حركة حرة وتتمتع بأصالة غريبة، كما أوضح الحالات السيكولوجية المعقدة، والغامضة، والمتناقضة عن طريق الاستنباط والاستقراء، والانطلاق من الفرضيات قصد البرهنة عليها وعدم التسليم بالأحكام الجاهزة في الشعر الجاهلي.

قامت دراستنا بعد التمهيد الذي تناولنا فيه (نبذة عن حياة الناقدة)، على محورين رئيسين، تناولنا في الأول: مفهوم (نقد النقد)، ثم (آراء النقّاد في مفهوم نقد النقد). أمّا المحور الثاني: تناولنا فيه (النماذج العليا في الشعر العربي القديم)، والذي تضمن: الطلل، الفرس، الناقة، وأخيراً خاتمة البحث.

الكلمات المفتاحية: نقد النقد ، بتول البستاني ، مصطفى ناصف، النماذج العليا، اللاوعي الجمعي.

ISSN. 1815-8854

Abstract:

The study of Dr. Batool AlBustani entitled: "A reading of Dr. Mustafa Nasif's study of the Pre-Islam poetry", is a serious approach of criticizing the criticism. The critic discourse of Nasif can include more than one point of view and could be more than one criticism. Dr. AlBustani's study was an attempt to interpret some of its aspects and to monitor its most important cases and the researcher considered studying supreme models of the old poetry as a model of Dr. AlBustani's reading of the book: A second reading to our old poetry.

Dr. AlBustani's revealed the mechanism in which Mustafa Nasif dealt with the Pre-Islam Arabic poems, considering them as symbols characterized with certain denotations represented by the ruins, mare, she-camel and rain, in addition to other phenomena common, which are common in this poetry depending on Carl Jung theory of the of the collective unconscious. Therefore, he established for the symbol, considering that it is an independent image with free motion and enjoys a weird originality. He also explained the complex psychological states, which are ambiguous and contradicted by means of inference and induction, setting out from the hypotheses to get to the proofs and not to surrender to the templates that exist in the pre-Islam poetry.

The current study included a preface that dealt with a brief of the critic's biography and two main axes. In the first, the researcher tackled the concept of (criticizing of the criticism, and then (the critics' opinions in the concept of criticizing of the criticism). While the second dealt with (the supreme models in the old Arabic poems), which involved the ruins, mare, she-camel and finally the conclusion of the study.

Keywords: Criticism of Criticism, Batoul Al-Bustani, Mustafa Nasif, Supreme Models, Collective Unconscious

ISSN. 1815-8854

التمهيد: نبذة عن حياة الناقدة

- كاتبة من العراق.
- أستاذة الأدب والنقد في جامعة الموصل / كلية التربية.
- بكالوريوس في اللغة العربية من كلية التربية / جامعة الموصل.
- ماجستير في الأدب الجاهلي من كلية الآداب / جامعة الموصل عن رسالتها الموسومة بـ(ظاهرة الشكوى في شعر هذيل).
- دكتوراه في الأدب الجاهلي من كلية الآداب / جامعة الموصل عن أطروحتها الموسومة ب (مناهج العراقيين المعاصرين في دراسة الشعر العربي قبل الإسلام).
- لها بحوث ودراسات عديدة في الأدبين القديم والحديث منشورة في مجلات علمية أكاديمية داخل العراق وخارجه.
- عضوة في الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق.
- شاركت في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية والأدبية.

عضوة في هيأة تحرير مجلة دراسات موصلية التي يصدرها مركز دراسات الموصل / جامعة الموصل (البستاني، ٢٠١٣) .

نقد النقد:

إنّ نقد النقد لازم التشكل الأول للنقد الأدبي، كما يذهب إلى ذلك الناقد (باقر جاسم محمد) الذي عدَّ ((نظرية أرسطو في المحاكاة البذرة الجنينية الأولى التي وصلتنا مما يمكن عدّه نوعاً من نقد النقد النظري غير المباشر على نظرية أستاذه افلاطون في المثل، التي وردت في كتابه (الجمهورية)، إذ يجعل الصفتين (النظري) و(التطبيقي) بين قوسين ؛ لأنّ الفكر النقدي في تلك المرحلة التاريخية المبكرة لم يكن قد عرف نقد النقد ناهيك عن تصنيفه إلى نظري وتطبيقي)) (محمد، ٢٠٠٩، ص١٠٧).

ISSN. 1815-8854

أمّا نقد النقد عربياً ((باعتباره نشاطاً فكرياً نوعياً، فهو قديم في مادته حديث في مصطلحه، له علاقة بكثير ممّا دارت حوله مناظرات العرب القدامى ومساجلاتهم، من قضايا أدبية وبلاغية ونقدية نظرية وتطبيقية لم نشك في دلالتها)) (الرياحي القسطنطيني، ٢٠٠٩،ص٥١) .

يُعَدُّ نقد النقد من أحدث الاستراتيجيات النقدية والمعرفية التي شهدتها مرحلة ما بعد الحداثة حيث جاءت هذه الاستراتيجية للنظر في تراكمات المنظومة النقدية، لتجعل من النقد موضوعاً لها تسائله وتفحصه من أجل تجديد وتحديث مرتكزاتها النظرية وآلياتها الإجرائية.

آراء النقّاد في مفهوم نقد النقد:

يعرِّف عبدالملك مرتاض نقد النقد بقوله: ((شكل معرفي مكمِّل للنقد، ومهدئ من طوره، وضابط لمساراته)) (مرتاض،١٩٩٩، ص٢٥٣). أمّا محمد الدغمومي فقد رأى بأنَّ نقد النقد ((بناء معرفي وظيفي يعمل باستراتيجية واحدة وينتج معرفة تصب في مجرى المنهجيات وتعمل باستراتيجية ليست أبداً استراتيجية التنظير أو النظرية الأدبية أو النقد، وإنّما تستهدف من خلال معرفة طبيعة الممارسة النقدية (آلياتها، مبادئها، غاياتها، معرفتها) للوصول إلى أحد المرامي الآتية:

- كشف الخلل فيها.
- تدعيم هذه الممارسة.
- تبرير هذه الممارسة.
- تحديد تشغيل المفاهيم النقدية في ممارسة منهج ما.
- تجديد تشغيل الاجراءات في ممارسة منهج ما.
- فحص النظريات النقدية والأدبية بما هي بناءات معرفية)) (الدغمومي، ١٩٩٩، ص٥٢).

يعدُّ عبدالملك مرتاض نقد النقد تابعاً للنقد ولا يشيد باستقلاليته كمجال معرفي له كيان مستقل بذاته، في حين يرى محمد الدغمومي باستقلاليته – ليس استقلالاً تاماً – وذلك راجع إلى عمله على كشف الحاجة المعرفية للنقد إلى وعي ذاته، من خلال استراتيجية خطابية تفكر في

ISSN. 1815-8854

اختياراته المنهجية وآلياته المعرفية وتعيد النظر في مسلّماته التصويرية والنظرية، ليكون بذلك نقد النقد ابسيتمولوجيا نوعية تسعى إلى إنتاج معرفة مغايرة من خلال نقد النصوص النقدية وتعديلها.

تختلف استراتيجية نقد النقد حسب الدغمومي عن التنظير النقدي الذي هو جملة من العمليات التي تشتغل على عناصر ما قبل النظرية أو متفرعة عن نظرية سابقة بحثاً عن نظرية مقترحة جديدة أو معدّلة قبل أن تستقر في شكل بناء منظم يمكن تسميته نظرية: إنّه ما قبل النظرية دائماً ، بمعنى أنّ التنظير قد يكون مسبوقاً وقد يكون سابقاً لنظرية ؛ لأنّ لكل خطاب هدفه ومنهجيته الخاصة، فخطاب نقد النقد ينكب على النقد بغية إنجاز عمل على عمل موجود، وخطاب التنظير يسعى إلى اقتراح البدائل، وبين الهدفين يتحدد الفرق في كون الأول يؤسس وجوده وهويته المعرفية كممارسة practice في حين أنَّ الآخر يؤسس كيانه المعرفي كمشروع نظري theory، فما يشغل التنظير ليس النص في ذاته، إنّما صورنة الخطابات، أي البحث عن جملة القوانين الشمولية التي تنظم النصوص والممارسات من أجل صياغة الأنساق الكلية، والملاحظ من هذا الفرق بينهما يتعلق بمشروعين هما: النظرية في مقابل الممارسة(بوسياحة، ٢٠٠٩).

ومن بين المفاهيم التي صيغت على أنّ نقد النقد هو جزء من التنظير النقدي مفهوم سامي سليمان الأحمد، يقول: ((نقد النقد بوصفه نشاطاً معرفياً يُخضع النصوص النقدية لمجموعة من الأطروحات والفرضيات التي تتعامل مع الإنتاج النقدي بوصفه موضوعاً للمساءلة والاختبار من زوايا مختلفة أو متصلة ممّا يؤدي إلى تنوع المداخل والمناهج التي يعوَّل عليها دارسوا تلك المجالات)) (الأحمد، ٢٠٠٦،ص٧) .

وقد نادى جابر عصفور باستقلال نقد النقد فقد عرّفه بأنّه ((نشاط معرفي (أبستيمولوجي) ينعكس معه النقد على نفسه ليختبر ويوضح الفرضيات التي تستند إليها المناهج والنظريات القائمة والمتوارثة.. وهو قول آخر في النقد يدور حول مراجعة (القول النقدي) ذاته وفحصه، وأعني مراجعة مصطلحات النقد وبنيته المنطقية ومبادئه الأساسية وفرضياته التفسيرية وأدواته الإجرائية)) (عصفور، ١٩٩١، ص١٦). وغير بعيد عن منطلق جابر عصفور تذهب نجوى الرياحي القسنطيني إلى تعريف نقد النقد بأنّه خطاب يبحث في مبادئ النقد ولغته الاصطلاحية وآلياته الإجرائية وأدواته التحليلية.. ونقد النقد بصفته نشاط فكري هو ضرب من التأويلية أو حفراً في كيان النص النقدي وإقامة من ثمة في قلب الهيرميونيطيقا، فتحدد بذلك مهمته أو وظيفته وآلية من آلياته

ISSN. 1815-8854

هي (التأويل)، فيكون نقد النقد – حسب نجوى القسنطيني – قد شقّ طريقه أمام إبدالات غير متوقعة، وأنّه يلعب لعبة المرايا اللامتناهية بعده ضرباً من التأويلية.

واستناداً إلى المفاهيم التي أوردناها نخلص إلى أنّ نقد النقد هو نشاط معرفي يتخذ من النقد موضوعاً له يقوم على المساءلة والمراجعة والتوصيف من أجل تصويب مسار النقد وضبطه (بوسياحة، ٢٠١٩) .

النماذج العليا في الشعر العربي القديم

ترى الدكتورة بتول البستاني أنّ مصطفى ناصف قد درس الشعر العربي قبل الإسلام، ودعا إلى قراءته قراءة ثانية تزيل الحواجز النفسية والعقلية القائمة بيننا وبينه، إذ إنَّ الأدب العربي نشأ من الأدب العربي قبل الإسلام، ولا يمكننا معرفة ثقافة وفكر الشاعر العربي في أيّ عصر من العصور دون الرجوع إلى ثقافة الشاعر العربي قبل الإسلام، وإنّ التطور الذي نطمح إليه يكمن في إعادة تشكيل الماضي، وليس الماضي إلّا الأدب الجاهلي (البستاني، ٢٠١٣) .

لقد ابتدأ الدكتور مصطفى ناصف بإجلاء الأدب الجاهلي، فهو يراه أشبه بالبؤرة التي انصهر فيها الأدب العربي، والمؤثر الأول في مجرى الأدب العربي بشكل عام، قائلاً: ((الأدب الجاهلي ليس لحظات عابرة في حياة الأدب العربي، وليس عصراً من عصوره، الأدب الجاهلي حقبة مهمة –على أقل تقدير– في حياة الأدب العربي، نشأ الأدب العربي من ذلك الأدب الجاهلي، ونمت الشجرة وترعرعت لكنّ جذورها ثابتة في تربة الأدب الجاهلي)) (ناصف، د.ت، ص٥١) .

وجدت الدكتورة البستاني أنّ ناصف من النقّاد الذين يرون الأدب العربي القديم ذا أبعاد مترامية، في مقابل من يراه سطحياً مباشراً ومرآة مجتمع بدوي لا غير، ومن هنا كانت أهمية دراسة الشعر بمعزل عن فكرة الموضوعات التقليدية، والسذاجة العقلية التي تمليها البيئة الخارجية على عقول الباحثين و((الاعتماد على مفهوم الرمز من أجل دحض فكرة الأغراض، ودحض السخافات المتعلقة بوحدة القصيدة، وبدلاً من أن يُدرس الشعر العربي دراسة أغراض علينا أن ندرسه دراسة رموز)) (ناصف، ١٩٦٥، ١٣١) .

دعا ناصف إلى قراءة الأساطير لفهم الشعر. تقول البستاني: ((واعتمد في تحليله للنص العربي قبل الإسلام على فكرة كون الرمز أداة التعبير في الفن)) (البستاني، ٢٠١٣،ص١١). وهو

ISSN. 1815-8854

كما يقول يونج: ((وسيلة إدراك ما لا يستطاع التعبير عنه بغيره، فهو أفضل طريقة تمكِّنه للتعبير عن شيء لا يوجد له أي معادل لفظي، هو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته)) (البستاني، ٢٠١٣،ص١١). ومن هنا كانت دراسة ناصف للطلل والفرس والناقة والمطر.. بوصفهم رموزاً لها دلالات معينة.

ترى البستاني أنّ ناصف قد استند في تفسيره لهذه الرموز إلى نظرية يونج في اللاشعور الجمعي، وتعدُّه من أوائل الذين عالجوا النص الشعري معالجة تعتمد على هذه النظرية لاعتقاده أنّنا حينما نقرأ الشعر العربي قبل الإسلام نكون بإزاء ضرب من الطقوس أو الشعائر التي تصدر عن عقل جماعي، لا عن عقل فردي(البستاني، ٢٠١٣، ص١٢) . و((يحوي اللاشعور الجمعي – مصدر الرموز ومنبع الإبداع الفني – خبرات الأسلاف، وذكريات الإنسان وأوهامه، وأحلامه، وأساطيره، وعباداته، وأنماطه السلوكية، والأحداث الطبيعية التي تراكمت آثارها وتكررت منذ ظهوره، وهو يرث هذه الرموز، وتخزن في لا شعوره الجمعي، ولا تظهر عنده – إذا ظهرت – إلّا في حالة النوم، أمّا عند الشعراء فتظهر في حالات اليقظة بوصفها مواقف تكييفية وتعويضية عن الحياة الشعورية)) (البستاني، ٢٠١٣، ص١٢) .

استعان ناصف بمفهوم كارل يونج (اللاشعور الجمعي) وهو ((ذلك الجزء من النفس الذي يدين في وجوده لعامل الوراثة النفسية، وينشأ أساساً من الأنماط العليا، وهي أشكال محددة في النفس موجودة وجوداً قبلياً، وكل شكل منهما يحمل أفراحه وأحزانه، تتكرر فينا كما وقعت في حياة أسلافنا، وحين يقع الموقف النمطي الأعلى ينتاب الفرد شعور بأنّه في قبضة قوة خارقة، وفي هذه اللحظة لم يعد فرداً بل أصبح الجنس البشري كلّه ؛ لأنَّ صوت البشر يتردد فيه))(الاحمد، ١٩٨٧، ص١٢٦). وهذا ما يتجلّى من خلال قراءته لقصيدتي زهير بن أبي سلمى:

أَمِـن أُمّ أَوفـى دِمنَـةٌ لَـم تُكَلَّـمِ بحَومانَـــةِ الـــدَّرّاجِ فـــالمُتَثَلَّمِ

ولبيد بن أبي ربيعة:

عَفَـت الـدِّيارُ مَحَلُهـا فَمُقامُهـا بِمنىً تأبَّدَ غَولُها فَرِجامُها

ISSN. 1815-8854

أولاً / الطلل:

يعدُّ الطلل من المعاني المشتركة بين الشعراء، الأمر الذي يصبغها بصبغة جماعية / اجتماعية. ((فليس هذا الفن – إذن– ضرباً من الشعور الفردي الذي يعوّل في شرحه على بعض الظروف الخاصة بشاعر من الشعراء، وإنّما نحن بإزاء ضرب من الطقوس أو الشعائر التي يؤديها المجتمع أو تصدر عن عقل جماعي، إن صحّ هذا التعبير، لا عن عقل فردي أو حالة ذاتية، والحقّ أنّ الشعر الجاهلي – كله – يوشك أن يكون على هذا النحو، بمعنى أنّ مراميه فوق ذوق الشعراء)) (ناصف، د.ت، ٥١) .

وتكمن رؤية البستاني في أنّ ناصف قد رأى أنّ شاعر ما قبل الإسلام قد وكَّل من قبل مجتمعه بالاحتفال المستمر ببعث الماضي، ففن الأطلال كغيره من فنون ذلك العصر ينبع من إلزام جماعي، يأتي الشاعر من ارتباط غامض بحاجات المجتمع العليا (البستاني، ٢٠١٣)، إذ كان ((لا يتصور الفن عملاً فردياً بل يتصوره نوعاً من النبوغ في تمثل أحلام المجتمع ومخاوفه وآماله))(ناصف، د.ت، ص٥٣). ومن رؤيته يتضح لنا، بأنَّ الأطلال التزام اجتماعي للشاعر تجاه مجتمعه وحاجاته، وسلطان اللاوعي بمنطقه، كذلك الموجِّه الأول لأفكار الشاعر، فالشاعر في العصر الجاهلي لا يبدأ بالحديث، ولا يخاطب مجتمعه إلّا عن طريق بعث الماضي ((ويصبح الَّتذَكُّر فريضة مهمة لا يستطيع أن يفرط فيها إنسان، لا شعر لمن لا ذاكرة له، ولا يستسيغ المجتمع معنى الشعر والمعرفة إلّا مقروناً بالتذكر، والتذكر بهذه الوسيلة يصبح شعيرة من الشعائر)) (ناصف، د.ت، ص٥٥) .

تذهب البستاني إلى أنَّ الشاعر قد حاول إضفاء الحياة على الطلل – رمز الموت – من خلال مجموعة من الرموز تتمثل في الوشم المجدد الذي يقترن ببعث الحياة، فهو تعويذة مُجسَّمة تحفظ الحياة والأمن ونجح المقاصد، وتتمثل أيضاً في الكتابة، والظباء والحيوانات الأخرى المنتشرة في الطلل، والأمطار والريح، والنؤى والأثافي، وحفل الشاعر بذكر أسماء الأماكن المختلفة للجزيرة العربية، إذ إنَّ الشعراء عمدوا إلى استيعاب تلك الأماكن واحتضانها وتوحيدها، فضلاً عن أنَّهم هدفوا إلى تعويذها من الشر بذكرها، وهذا الذكر ضرب من الرقي في سبيل مواجهة العزلة والوحشة (البستاني، ٢٠١٣) . وقد ضرب ناصف لنا مثلاً ببيتين أحدهما للبيد، والآخر لزهير، تجسَّدت فيهما هذه النظرة، وهما:

مجلة فصلية علمية محكمة، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN. 1815-8854

١- أَو رَجْعُ واشِمَةٍ أُسِفَّ نَؤُورُها كِفَفاً تَعَرَّضَ فَوْقَهُنَّ وِشامُها

حيث شبَّهَ الشاعر الأطلال بعد دروسها بتجديد الوشم، فعادت كما عاد، فالوشم صورة مجسدة، وليس صورة بالية، وكما عرض لها البلى أُتيح لها أن تنبعث وأن تتجدد، وهذا الوشم ليس أمراً موقوفاً على شاعر دون شاعر، فهو جزء من الميراث الذي وجدنا الشعراء يحتفلون به غاية الاحتفال (ناصف ، د.ت، ص٥٦).

٢- بِها العَينُ والأرآمُ يَمشينَ خِلفَةً وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ من كل مِجْثَمِ

وهنا تلميح لفكرة التَّجَدُّد والاستمرارية، والخروج بالطلل من حدوده الضيقة، ففي البيت وصف لتعاقب الظباء بعضها في أثر بعض: إذا مضى قطيع منها جاء قطيع آخر، أمَّا أولادها فتنهض من مرابطها لترضعها أمهاتها (ناصف ، د.ت، ص٥٧).

تؤكد الدكتورة البستاني على أنَّ الظعائن جزء من تأويل فكرة الطلل، وتبدو كأنَّها ولدت من الطلل نفسه، والطلل أشبه بالأُم للأبقار والظباء والظعائن، والشاعر أمامها يحتاج إلى الَّتبَصُّر، قال زهير بن أبي سلمى:

تَبَصَّر خَلِيلِي، هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ

فالظعائن روح غريبة وعظيمة، ولا يمكن أن نؤيّد الشُّرَاح الذين يقولون في قول زهير:

وَفِيْهِنَّ مَلْهًى لِلَّطِيفِ وَمَنْظَرٌ أَنِيقٌ لعَيْنِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمِ

بَكَرْنَ بُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كالْيَدِ لِلْفَمِ

إنَّ النساء قصدن وادي الرس كاليد القاصدة للفم لا تخطئه، إذ إنَّهُنَّ يغبن في وادي الرس، ويعم الغموض روح الشاعر فيحتاج إلى التأمل ؛ لأنَّه مقتنع بوجودهنّ على الرغم من عدم رؤيته لهنّ (البستاني، ٢٠١٣) .

ترتبط بالأطلال فكرة الظعائن، وبعبارة أخرى تصبح الظعائن مظهر نمو أصاب الطلل، والذي يبدو أنَّ الظعائن بالنسبة للطلل مثل الذُّريَّة بالنسبة للأم، ومن أجل ذلك يصبح الطلل كالأم الولود التي لا يجف خصبها، وهذا الخصب ذو صورة متعددة متحركة وساكنة، كالحروف والنقوش والظباء والنساء.

وللظعائن أشكال مختلفة، فهي الروح الغريبة الأليفة في ذات الوقت ((وقد تظهر الظعائن في شكل آرام وظباء، وقد تظهر في شكل يشبه اليد، فهي على كلّ حال طاقة غريبة أو لِنَقُل هي روح غريبة

ISSN. 1815-8854

ولكنها أليفة، هذه هي الروح التي لا تسكن ولا يحتويها الطلل وإن كانت عنه صدرت، هذه هي الروح التي تمثل أعلى ما يمكن أن يصدر عن فكرة البعث))(ناصف، د.ت، ٦٥) .

تشير الدكتورة البستاني إلى أنّ تشبيه الظعائن بالنخيل ما هو إلّا رمز للبشرى والنبوءة الطيّبة، و((قد شبَّهَ الشاعر الهوادج بالسفن، والسفن رمز للتحول الكبير في الشخصية، والظعائن روح مهاجرة تكمن في داخلها الرغبة في النمو، وإنَّ تخيّل الظعائن في سفن ضرب منبثق من رؤى جماعية تدل على مخاوف الجماعة وآمالها حين تفكر في الانتقال من حوار إلى آخر في الحياة، وما مناوشة الطير للظعائن إلّا صورة للمخاوف والوساوس، ورمز للصراع والعدوان والموت والعقبات التي تعترض الظعائن في أثناء رحلتها)) (البستاني، ٢٠١٣،ص١٤) .

ثانياً / الفرس:

للخيل حظوة في الشعر العربي، وكثيراً ما تحدَّث النُقّاد عن وصف الشعراء لها، و((يجب – إذن – أن نُعامل صورة الفرس معاملة متأنية، فالفرس أعطى كثيراً من المزايا التي حُرم منها الفقراء وغير الموسرين، وظهرت آثار الجمال والعناية وحسن التربية على وجهه وجسمه))(ناصف، د.ت، ص٨٢). والفرس مثل الناقة (معوذة مزودة بقوى كثيرة)(ناصف،١٩٨١،ص٢٤٧). وتصفه الدكتورة البستاني بأنّه رمز معقد متنوع الجوانب يمثل الكبر ودنو الأجل، والصبا ودواعيه، قال زهير بن أبي سلمى:

صَحا القَلبُ عن سَلمى وَأَقصَرَ باطِلُه وَعُرِّيَ أَفراسُ الصِبا وَرَواحِلُه

وهو مزيج من القوة والمقاومة، وقد جاء في معلقة امرئ القيس بعد الليل القاسي، الذي حاول الشاعر الانفلات من قبضته، أو قبضة الحيوان الجاثم على صدره، لذا كان كالبطل الذي يمتلك مزايا عظيمة، وكالإنسان الذي تطمح إلى معرفة رموزه في شعر ما قبل الإسلام، فهو في كرٍّ وفر، كما أنَّه وحيد وغريب ومتوتر، ومعبِّر عن أزمة الإنسان في عصر ما قبل الإسلام وخوفه من الموت، وهو في الوقت نفسه مجمع الثورة الكامنة في عقل الشاعر، لذا وجدناه يعجّ برغبات باطنية تهدف إلى خلق الحياة، وتغيير حياة الإنسان (البستاني، ٢٠١٣) .

ومكمن الاعجاز برؤية ناصف في فرس امرئ القيس، راجع إلى اعتماده اعتماداً غريباً على فكرة (السيل) و((فرس امرئ القيس هو السيل، وهو القادر على السباحة إذا عجزت الخيل الأخرى عن

ISSN. 1815-8854

ركوب الماء، وأصبحت تثير الغبار بأرجلها مكدودة، وعلى هذا النحو ظلَّ امرؤ القيس مُعجباً بفكرة السيل لا تفارقه، حتى جعل دماء الوحوش قريبة من السيل)) (ناصف، د.ت، ص٧٨-٧٩) .

تَعُدُّ الدكتورة البستاني الفرس رمزاً للقائد الكريم، والنبيل الذي تحمَّل هموم قومه وَعَمِدَ إلى التضحية من أجل الرسالة التي يناضل في سبيلها وهي إنقاذ المجتمع، لذا كان عليه الإمساك بزمام الأمور، وتحمُّل أعباء السلطة وهو أقرب إلى صورة المعلم العظيم الذي يمهد للناس الطريق، ومن هنا نلاحظ نجاح امرئ القيس في رسم صورة أسطورية لهذا الفرس، صدرت عن تفكيره الأسطوري الذي أدَّى إلى إعجاب المتقدمين والمحدثين بها. (البستاني، ٢٠١٣) .

ثالثاً / الناقة:

جعل ناصف بين الطلل والناقة جدلاً لا يفهم إلّا عبر موضوع الهوادج التي استحالت إلى سفن، تعبيراً عن الهرب من فكرة الهدم التي ينطوي عليها الطلل، فهي رحلة بحرية في أعماق النفس، والعقل هو ملّاح الرحلة للبحث عن الطريق. لذلك تبدو رحلة السفينة تجوالاً يسيراً بظهر الغيب ومساءلة يسيرة للقدر. (ناصف، د.ت، ص١٥٩) .

تقول الدكتورة البستاني: ((بدت الناقة في شعر ما قبل الإسلام حيواناً مقدَّساً، ورمزاً للثبات والقهر والصمود والحياة، وتكويناً شاذاً مشبعاً بالقوة والرهبة، ومعوذة مزودة بقوى كثيرة، لذا كان وقوف الشاعر عند كل عضو فيها)) (البستاني، ٢٠١٣، ص٢٠). وهي رمز لكل هم، و(خالقة للأساطير التي أخرجت الشعر من الفناء الساذج إلى التصدي الملح لفكرة المشكلات))(ناصف، ١٩٨١،ص٩٨).

يتضح للباحث نظر ناصف للناقة بعدسة علم الأنثروبولوجيا، فهي بالنسبة له ظاهرة جماعية، توارثها الإنسان في العقل الباطن ؛ لأنّ الشاعر الجاهلي يُفكر في الكل قبل الجزء، والناقة في الشعر الجاهلي تُخبرنا بالثبات والقهر والصمود بسبب قوتها وطريقة تحملها لمصاعب الحياة، و((نتيجة لذلك كلّه يمكن أن نلاحظ أنَّ موضوع الناقة في الحقيقة يعتبر جملة أفكار- وليس فكرة واحدة – أي أنَّ الشعر ليس فيه تكرار حقيقي بالمعنى الحرفي في كثير من الأحيان؛ لأنَّ الإطار العام يتغيّر. إنَّنا قد وقفنا عند فكرة الأمومة التي أظهرها الشعر الجاهلي وعُني بها، وكان الشاعر الجاهلي – في كثير – يربط بين هذه الناقة وبعض الحيوان)) (ناصف، د.ت، ص١٠١) .

مجلة فصلية علمية محكمة، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية والاجتماعية

ISSN. 1815-8854

وترى البستاني أنَّ ناقة طرفة التي قال الشُّرَّاح والنقّاد، إنّه ذكرها لغرض الوصف، إذ كانت برأيهم وسيلة تعينهم في حياتهم الصعبة، وأداة تزيل همومهم في رمز لحياة أخرى معدة للعبث بحياة الإنسان نفسه، إذ تحمل صاحبها كما يستوعب التابوت الميت (البستاني، ٢٠١٣) .

أَمُونٍ كَأَلْواحِ الإِرانِ نَصَأْتُهَا عَلَى لاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ

وما التشبيهات المتلاحقة التي أتى بها الشاعر إلَّا رمز ديني، والرمز الديني في الشعر، يستقيم مع فكرة الملامح المكبرة التي تأخذ طابع القداسة والغرابة (ناصف، ١٩٨١) .

تذهب الدكتورة البستاني إلى أنَّ ناصف قد عبَّرَ عن الناقة برموز مختلفة، فرأى ناصف أنَّ الناقة ليست مجرد أداة أو أنيس، بل هي رمز للإنسان الفاني والدهر الباقي الذي يحيي ويميت، ومن هنا يمكننا معرفة سبب اقتران ليل امرئ القيس بالبعير الجاثم على صدره:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أرخى سُدُولَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بجوزه وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ فيك بِأَمْثَلِ

وهي أيضاً رمز للزمن المُهلِك، لذا ذكروها حينما تكلموا على الموت وقوته في الحروب (البستاني، ٢٠١٣) ، قال زهير بن أبي سلمى:

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا، ذَمِيمَةً وتَضْرَ، إذا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ
فَتَعْرُكُكُمُ عَرْكَ الرَّحى، بِثِفَالِهَا وتَلْقَحْ كِشَافاً، ثم تُنْتَجْ فتُتْئِمِ
فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ، كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عادٍ، ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

والناقة حيوان أسطوري، ورمز ل ((قوى الشر الغامضة المسلطة على الإنسان أو قوى الموت)) (ناصف، ١٩٨١، ص٢٥١). قال زهير بن أبي سلمى معبّراً عن هذا الموت بفكرة الرعي:

فَقَضُّوا مَنَايَا بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كَلأٍ، مُسْتَوْبَلٍ، مُتَوَخَّمِ
رَعَوْا ظَمْأَهُمْ حَتَّى إذا تَمَّ أَوْرَدُوا غِماراً، تَفَرَّى بِالسِّلاحِ، وبالدَّمِ

وأخيراً تتساءل الدكتورة البستاني من أين جاءت هذه الرموز وما هو أصلها؟ وما سبب اكتساب الناقة لهذه القدسية التي كمنت في اللاشعور الجمعي عند الشاعر؟ (ناصف، ١٩٨١) .

ISSN. 1815-8854

كان الشاعر الجاهلي – في كثير – يربط بين هذه الناقة وبعض الحيوان، فقد حرص الشاعر الجاهلي على تشبيه الناقة بالظليم وتشبيهها بالظبية الشاردة، فهي بين القوة الخيالية والحنان المُفرط، وليس هناك شك إذا نظرنا في أساطير العرب في العصر الجاهلي، في أنَّ الناقة لم تكن مجرد حيوان، إنَّ العالِم أو المتحضِر قد ينظر بعقله، ولكن الشعراء –خاصة – يحتضنون الأشياء بخيالهم وحواسهم، أعني أنَّ الناقة كانت حيواناً مُقدساً في بعض الأحيان (ناصف، د.ت)

ISSN. 1815-8854

الخاتمة

- يعدُّ نقد النقد من أحدث الاستراتيجيات النقدية والمعرفية التي شهدتها مرحلة ما بعد الحداثة حيث جاءت هذه الاستراتيجية للنظر في تراكمات المنظومة النقدية، لتجعل من النقد موضوعاً لها تسائله وتفحصه من أجل تجديد وتحديث مرتكزاتها النظرية وآلياتها الإجرائية.
- كشفت البستاني عن آلية تعامل مصطفى ناصف مع القصيدة العربية في عصر ما قبل الإسلام، على أنّها رموز لها دلالات معينة، إذ كشف عن دلالات الطلل والفرس والناقة والمطر.. وغيرها من الظواهر الشائعة في الشعر الجاهلي معتمداً على نظرية يونج car jung في اللاشعور الجمعي، فأسَّسَ للرمز، ورأى أنَّه صورة مستقلة في وجودها تتحرك حركة حرة وتتمتع بأصالة غريبة، كما أوضح الحالات السيكولوجية المعقدة، والغامضة، والمتناقضة عن طريق الاستنباط والاستقراء، والانطلاق من الفرضيات قصد البرهنة عليها وعدم التسليم بالأحكام الجاهزة في الشعر الجاهلي.
- ترى الدكتورة بتول البستاني أنَّ مصطفى ناصف قد درس الشعر العربي قبل الإسلام، ودعا إلى قراءته قراءة ثانية تزيل الحواجز النفسية والعقلية القائمة بيننا وبينه، إذ إنَّ الأدب العربي نشأ من الأدب العربي قبل الإسلام، ولا يمكننا معرفة ثقافة وفكر الشاعر العربي في أي عصر من العصور دون الرجوع إلى ثقافة الشاعر العربي قبل الإسلام، وإنَّ التطور الذي نطمح إليه يكمن في إعادة تشكيل الماضي، وليس الماضي إلّا الأدب الجاهلي.
- وجدت الدكتورة البستاني أنَّ ناصف من النقّاد الذين يرون الأدب العربي القديم ذا أبعاد مترامية، في مقابل من يراه سطحياً مباشراً ومرآة مجتمع بدوي لا غير.
- تكمن رؤية البستاني في أنّ ناصف قد رأى أنّ شاعر ما قبل الإسلام قد وكَّلَ من قبل مجتمعه بالاحتفال المستمر ببعث الماضي، ففن الأطلال كغيره من فنون ذلك العصر ينبع من إلزام

ISSN. 1815-8854

جماعي، يأتي الشاعر من ارتباط غامض بحاجات المجتمع العليا، إذ كان (لا يتصور الفن عملاً فردياً بل يتصوره نوعاً من النبوغ في تمثل أحلام المجتمع ومخاوفه وآماله).

- تعُدُّ الدكتورة البستاني الفرس رمزاً للقائد الكريم، والنبيل الذي تحمَّلَ هموم قومه وعمد إلى التضحية من أجل الرسالة التي يناضل في سبيلها وهي إنقاذ المجتمع، لذا كان عليه الإمساك بزمام الأمور، وتحمل أعباء السلطة وهو أقرب إلى صورة المعلم العظيم الذي يمهد للناس الطريق، ومن هنا نلاحظ نجاح امرئ القيس في رسم صورة أسطورية لهذا الفرس، صدرت عن تفكيره الأسطوري الذي أدَّى إلى إعجاب المتقدمين والمحدثين بها.
- تذهب الدكتورة البستاني إلى أنَّ ناصف قد عبَّر عن الناقة برموز مختلفة، فرأى أنَّ الناقة ليست مجرد أداة أو أنيس، بل هي رمز للإنسان الفاني والدهر الباقي الذي يحيي ويميت، وهي أيضاً للرمز المهلك، لذا ذكروها حينما تكلموا على الموت وقوته في الحروب، والناقة حيوان أسطوري ورمز لقوى الشر الغامضة المسلطة على الإنسان أو قوى الموت.

ISSN. 1815-8854

قائمة المصادر

أولاً: الكُتب:

١- الاحمد، سامي سليمان (٢٠٠٦) ، حفريات نقدية دراسات في النقد العربي المعاصر ، مركز الحضارة العربية، القاهرة- مصر، ط١ .

٢- الأحمد، عبدالفتاح محمد (١٩٨٧) ، المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي، دار المناهل، بيروت- لبنان، ط١.

٣- البستاني، بتول حمدي (٢٠١٣) ، قراءات في الأدب العربي قبل الإسلام، د. بتول حمدي البستاني، دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمان، ط١.

٤- الدغمومي، محمد (١٩٩٩) ، نقد النقد ونظير النقد العربي المعاصر، سلسلة رسائل وأطروحات رقم ٤٤، منشورات كلية الآداب، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، المغرب، ط١.

٥- عصفور ، جابر (١٩٩١) ، قراءة في التراث النقدي، مؤسسة عيبال، قبرص، اليونان، ط١.

٦- مرتاض، عبدالملك (١٩٩٩) ، في نظرية النقد متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، ، دار هومة، الجزائر، ط١.

٧- ناصف ، مصطفى (١٩٨١) ، دراسة الأدب العربي، دار الأندلس، بيروت، ط٢ .

٨- ناصف ، مصطفى (د.ت) ،قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، بيروت، ط٢.

٩- ناصف، مصطفى (١٩٦٥) ، نظرية المعنى في النقد العربي، دار القلم، القاهرة.

ISSN. 1815-8854

ثانياً: الدوريات

١- بوسياحة، حمزة (٢٠١٩) ، نقد النقد مساءلة في المصطلح والمنهج، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر – بسكرة–، ع٢٤.

٢- الرياحي القسطنطيني، نجوى (٢٠٠٩) ، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مجلة عالم الفكر، ع١، مج ٣٨، يوليو. سبتمبر.

٣- محمد ، باقر جاسم (٢٠٠٩) ، نقد النقد أم الميتا نقد، محاولة في تأصيل المفهوم، مجلة الفكر، ع٣، مج ٣٧.

ISSN. 1815-8854

List of sources in English

First: Books:

1. Al-Ahmad, Abdel Fattah Muhammad (1987), The Mythological Approach to Interpreting Pre-Islamic Poetry, Dar Al-Manahil, Beirut, Lebanon, 1st ed.
2. Al-Ahmad, Sami Suleiman (2006), Critical Excavations: Studies in Contemporary Arab Criticism, Center for Arab Civilization, Cairo, Egypt, 1st ed.
3. Al-Bustani, Batoul Hamdi (2013), Readings in Pre-Islamic Arabic Literature, Dr. Batoul Hamdi Al-Bustani, Fadaat Publishing and Distribution House, Amman, 1st ed.
4. Al-Daghmoumi, Muhammad (1999), Criticism of Criticism and its Counterparts, Series of Theses and Dissertations, No. 44, Publications of the Faculty of Arts, Al-Najah New Press, Rabat, Morocco, 1st ed.
5. Asfour, Jaber (1991), A Reading in the Critical Heritage, Ebal Foundation, Cyprus, Greece, 1st ed.
6. Murtad, Abdulmalik (1999), In Critical Theory: A Study of the Most Important Contemporary Critical Schools and a Survey of Their Theories, Dar Humouma, Algeria, 1st ed.
7. Nasif, Mustafa (1965), The Theory of Meaning in Arabic Criticism, Dar Al-Qalam, Cairo.
8. Nasif, Mustafa (1981), A Study of Arabic Literature, Dar Al-Andalus, Beirut, 2nd ed.
9. Nasif, Mustafa (n.d.), A Second Reading of Our Ancient Poetry, Dar Al-Andalus, Beirut, 2nd ed.

Second: Periodicals

1- Al-Riyahi Al-Qastantini, Najwa (2009), On Awareness of the Term Criticism of Criticism and the Factors of Its Emergence, Alam Al-Fikr Magazine, Issue 1, Vol. 38, July-September.

ISSN. 1815-8854

2- Boussiaha, Hamza (2019), Criticism of Criticism: A Questioning of Terminology and Methodology, Journal of the Faculty of Arts and Languages, University of Mohamed Khider - Biskra -, Issue 24.

3- Muhammad, Baqir Jassim (2009), Criticism of Criticism or Meta-Criticism, an Attempt to Establish the Concept, Al-Fikr Magazine, Issue 3, Vol. 37.